

الفرنسيون الأحرار واستقلال المغرب

د. زكي مبارك

أستاذ بجامعة محمد الخامس الرباط - المغرب

ملخص:

الفكرة السائدة لدى جيل المغاربة في فترة ما بعد الاستقلال، أن كفاح الحركة الوطنية المغربية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي بمختلف أشكاله وهياكله كان عاما وضد كل ما هو فرنسي، فهم ملة واحدة، لا فرق بين ذوي النزعة الاستعمارية و«الأحرار» منهم المدافعين عن حقوق الإنسان وحرية.

كرست هذه «الفكرة» نتيجة قلة الأدبيات الوطنية منها أو الأجنبية، التي تناولت بالدراسة استثناء الفرنسيين «الليبراليين الأحرار»، الذين كانت لهم مساهمات هامة وفعالة في دعم الحركة الوطنية ومساندتها، كما كان لهؤلاء دور في تنوير الرأي العام الفرنسي والدولي، وفي عودة الملك محمد الخامس إلى عرشه من منفاه، وفي حل الأزمة المغربية - الفرنسية حلا سلميا.

تهدف من ثمة هذه المقالة إلى تعريف أجيال فترة ما بعد الاستقلال ببعض هؤلاء الأحرار ونشاطهم ونضالهم، ومنهم على سبيل المثال جان جوريس وروبير جان لونكي وفرنسوا مورياك.

الكلمات الدالة: إستقلال المغرب، الفرنسيون الأحرار، التاريخ السياسي، الإستعمار.

مقدمة:

تحت عنوان: «دعم الليبراليين الفرنسيين للحركة الوطنية المغربية في كفاحها ضد الاستعمار» صدر بالمجلد الأول لهذه الموسوعة بحث تناول فيه الباحث عبدالمجيد بن جلول جوانب من هذا الدعم والشخصيات الفرنسية البارزة التي ساهمت فيه معنويا وسياسيا وفكريا¹.

إن الفكرة السائدة لدى جيل ما بعد الاستقلال بخصوص كفاح المغاربة من أجل تحرير الوطن أنه كان كفاحا ضد الوجود الاستعماري بكل أشكاله ومكوناته، وكل الفرنسيين المتواجدين في مغرب الاحتلال ملة واحدة، ولا فرق بين ذوي النزعة الاستعمارية والاستغلالية وذوي النزعة المتحررة والمدافعة عن كرامة الإنسان وحقوقه المشروعة انطلاقا من قناعات عقائدية أو دينية أو إنسانية محضة.

ولعل ما كرس هذه الفكرة لدى أجيال ما بعد الاستقلال قلة الكتابات الوطنية والأجنبية التي تناولت هذا الموضوع في فجر الاستقلال وحتى السنوات الأخيرة من القرن الماضي، علما بأن مساهمة الفرنسيين الأحرار في كفاح الشعب المغربي كانت هامة وفعالة في عودة محمد الخامس إلى عرشه، وفي حل الأزمة المغربية الفرنسية حلا سلميا وحضاريا.

ينتمي الأحرار الفرنسيون إلى رجالات الفكر والسياسة والدين والمال والأعمال والإعلام والدبلوماسية والى جمعيات المجتمع المدني والمنتديات الثقافية. فبهذا الانتماء والتواجد

1 - موسوعة دعم الليبراليين الفرنسيين للحركة الوطنية المغربية في كفاحها ضد الاستعمار. عبد المجيد بن جلول، ص ص 834-944.

في كل هذه المحافل، شكلوا داخل المجتمع الفرنسي السياسي قوة ضغط إحتلت القضية المغربية، بفضل مواقفهم ونشاطهم المكثف، مكانة ملحوظة بالتعبئة التي حظيت بها من طرفهم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. عملوا على تنوير الرأي العام الفرنسي حول حقيقة الأوضاع في المغرب منذ أن اشتد الصراع بين الملك محمد الخامس والسلطات الاستعمارية بعد خطاب طنجة التاريخي، وتصاعد بعد حوادث الدار البيضاء الدامية في دجنبر 1952، وبلغ ذروته بعد إقدام السلطات الاستعمارية على نفي محمد الخامس يوم 20 غشت 1953.

رأينا من المفيد، بداية، أن نضع حركة الأحرار الفرنسيين في سياقها التاريخي والسياسي وذلك بالتوقف عند رائد من رواد الفكر التحرري الفرنسي المعادي للاستعمار واستغلال الشعوب، هو المناضل جان جوريس (Jean Jaurès)، كما اعتبرنا المناضل الاشتراكي روبير جان لونكي (Robert Jean Longuet) من الشخصيات الفرنسية الأوائل التي ساندت بقلمها وأفكارها ومواقفها مطالب الحركة الوطنية المغربية وهي في مرحلة النشوء والتطور داخل المغرب وفرنسا. بهذه المساندة الجريئة، وفي وقتها المبكر، فتح لونكي الطريق لتبلور أفكار الفرنسيين الأحرار داخل المجتمع الفرنسي والمستعمرات.

لا يمكن التحدث عن الفرنسيين الأحرار دون التوقف عند أديب ومفكر ومناضل وظف مكانته العلمية والفكرية والأكاديمية لخدمة القضية المغربية بصفة عامة، وعودة محمد الخامس إلى عرشه بصفة أخص، إنه الأكاديمي فرانسوا موريك (François Mauriac).

طبعاً، هناك شخصيات أخرى لا تقل مكانة ومرتبة نضالية من أجل القضية المغربية، منها من تركت مذكرات وشهادات وكتابات تاريخية وسياسية حول نضالها... ومنها من صدرت حولها مؤلفات يجد الباحث المهتم بهذا الموضوع أهمها في المراجع.

1. جان جوريس (Jean Jaurès) :

يمكن اعتبار جان جوريس (1859-1914م) من رجالات فرنسا الأحرار الأوائل الذين واجهوا الحزب الاستعماري الفرنسي مواجهة عنيفة، معارضين سياسته الاستعمارية والتوسعية بصفة عامة، ومخططاته لاحتلال المغرب، منبها حكومة بلاده من مغبة التورط في ما كان يسميه جوريس «بعش الزنبور المغربي» (Le guépier marocain) نظراً لموقع المغرب الجغرافي، ورغبة دول أوربية في احتلاله كإسبانيا، وإنجلترا، وألمانيا، بحجة ما يربطها بالمغرب من روابط الجوار، والجغرافيا، والتاريخ، والاتفاقات التجارية وغيرها، مما جعل كل واحدة من هذه الدول تعتبره مجالاً من مجالها الحيوي. لهذه الاعتبارات وغيرها، كان جوريس يعارض حكام بلاده في استعمار فرنسا للمغرب، كما كان ينتقد بشدة وجرأة سلوكات وأسلوب تعامل وتصرف الحكام الفرنسيين في المستعمرات الفرنسية المنافية لقيم الثورة الفرنسية، ومبادئ حقوق الإنسان.

وجد جوريس داخل المجتمع الفرنسي فئات من مختلف الشرائح الاجتماعية تؤيد أفكاره وتدعم مواقفه وتساند توجهاته السياسية. ومن أجل بلورة هذه الأفكار ونشرها، أصدر جوريس سنة 1904 جريدة L'Humanité. وفي سنة 1905 أسس الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي سيميز نشاطه السياسي والفكري بمواقفه المعادية للسياسة الاستعمارية بصفة عامة، والمؤيدة لحق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها متى بلغت من الوعي

والتقدم الحضاري والاجتماعي ما يمكنها ويضمن لها ذلك. ومن سنة 1905 إلى سنة 1914 ظل جوريس يناضل من أجل ترسيخ أفكاره والدفاع عنها في كل المحافل إلى أن تم اغتياله يوم 31 يوليوز 1914.

2. روبير جان لونكي (Robert Jean Longuet) :

يعتبر روبير جان لونكي (1901-1987م) من الفرنسيين الأحرار الرواد الذين دعموا مطالب الحركة الوطنية المغربية وهي في طور النشوء والتكون. فبحكم إنتمائه إلى أسرة ذات توجهات اشتراكية، إذ أنه ابن النائب والزعيم الاشتراكي جان لوكي حفيد مؤسس الاشتراكية كارل ماركس، فإن موقفه من الاستعمار الفرنسي لم يختلف عن مواقف أجداده. زار روبير جون لوبكي المغرب كمحام متمرن خلال سنوات 1927 و1928 و1931 في نطاق مهمته، مكنته هذه الزيارات من الاطلاع على حقائق السياسة الفرنسية تجاه الشعب المغربي، خصوصا بعد صدور «الظهير البربري» وما خلفه من ردود فعل في المغرب والبلدان العربية والإسلامية.

«... فثارت ثائرتة لما شاهده واختبره أثناء اتصالاته بالمغاربة والسلطات الفرنسية، وكان من شأن هذا أن فتح عينه على التعسفات والاضدهادات التي يرتكبها الاستعمار الفرنسي، فتحدث لأبيه عن فكرة إصدار مجلة لاطلاع الرأي العام الفرنسي على حقيقة الأوضاع في المغرب»².

تزامنت هذه الفكرة مع اقتناع قادة الحركة الوطنية بضرورة امتلاك حركتهم أداة إعلامية خارج الوطن تعرف بمطالبهم وبنشاطهم وأفكارهم، وتفضح السياسة الاستعمارية، وترد على الحملات التضليلية التي شنتها ضدهم وسائل الإعلام الاستعمارية.

وجدت الحركة الوطنية الناشئة ضالتها المنشودة في المحامي والمناضل الاشتراكي روبير لونكي. ففي أحد اللقاءات بباريس بين لونكي الأب، وروبير لونكي الابن، ومحمد حسن الوزاني، وعمر بن عبدالجليل، واحمد بلا فريج، تمت الموافقة بين هؤلاء الأطراف على إصدار مجلة تحمل إسم «المغرب Maghreb». صدر العدد الأول منها في يوليوز 1932م، تولت تحريرها والإشراف على إصدارها شخصيات فرنسية وإسبانية مرموقة. يقول حسن الوزاني في هذا الصدد: «بصدور «مغرب» أصبح لحركتنا الفتية منبر عام في باريس، وتعبأت أقاليم مغربية وفرنسية في سبيل الحملة المنظمة ضد السياسة الفرنسية في بلادنا خاصة، وفي الشمال الإفريقي والشرق العربي عامة»³.

من مظاهر الدعم الذي قدمه المناضل الاشتراكي للحركة الوطنية المغربية مساهمته الفكرية في إعداد وتحضير وتحرير وتقديم للسلطات الفرنسية في باريس، دفتر برنامج الإصلاحات المغربية في فاتح دجنبر 1934م. ومنذ ذلك، ظلت صلاته بقيادة الحركة الوطنية وطيدة، ودعمها لمطالبها ونشاطها الوطني متواصل. فمن منجزاته في هذا الباب تأسيسه لجمعية «عصبة الدفاع عن المغرب الحر» في جوان 1945م، تولى روبير لونكي رئاسة هذه العصبة التي ضمت كذلك صفوفة من الشخصيات الفرنسية من أكاديميين ومحامين ورجال الفكر والقلم. كما ضمت هذه العصبة بصفتهم ملاحظين الطلاب المغاربة: احمد العلوي،

2- الوزاني. حياة وجهاد. الجزء الثالث، ص 208.

3- الوزاني. حياة وجهاد. الجزء الثالث، ص 212-312.

واحمد الشرفي، ومحمد الخلطي. أما هدف هذه العصبة ودواعي تأسيسها فهي موضحة في بيانها التأسيسي الذي نقتطف منه الفقرات التالية :

«...هدف العصبة استحداث علاقات ضرورية بين كل الشخصيات الفرنسية والمغربية للتعريف بالمطامح الوطنية للشعب المغربي...لقد أضحى من الصعب والمستحيل الانسحاق وراء نظام يتسم بالظلم والاضطهاد والعنصرية، شبيه في كثير من النقط بالنظام الذي قاومنا جنبا إلى جنب، نحن الشعوب المتعطشة الى الحرية... إن فرنسا والمغرب كافحا معا من أجل نفس المثل العليا. إن المغرب، باسم أبنائه الذين استبسلوا وأحاط بهم المجد في ميادين الوغى والذين قدموا بسخاء دمائهم لتخليص العالم من الفاشية، يطالب بنصيبه من العدل والحرية، لأن هذه الحرب التي خضنا غمارها معا، كانت حرب تحرير بالنسبة لجميع الشعوب»⁴.

بعد استقلال المغرب لم يحظ هذا المناضل بما يستحقه من عرفان وتقدير من طرف المغرب. إلا أن اهتمامه بقضاياها ظلت متواصلة إلى يوم وفاته يوم الخميس 19 مارس 1987م بباريس.

3. فرانسوا مورياك (1889م-1970م) (François Mauriac):

بمدينة بوردو الفرنسية ولد فرانسوا مورياك يوم 11 أكتوبر 1885م. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمؤسسات تشرف عليها الكنيسة الكاثوليكية، بعد ذلك رحل الى باريس لمتابعة دراسته الجامعية يوم 15 شتنبر 1907م، وليحتك برجال الفكر والسياسة. حصل على ليسانس في الأدب الفرنسي واخذ يكتب مقالات أدبية في الصحف الباريسية. في سنة 1925م نراه يوقع عريضة تندد بمواقف المفكرين التقدميين من اليسار الفرنسي الشيوعي والاشتراكي، وباقي المثقفين الأحرار الذين يتعاطفون مع الثورة التحريرية الريفية ويعارضون تحالف فرنسا مع إسبانيا لمواجهة هذه الثورة الشعبية في المغرب.

غير أن مواقفه من السياسة الفرنسية في المستعمرات ستعرف تحولات بعد إطلاعه على ما ترتكبه السلطات الاستعمارية هناك من جرائم وإبادة ومظالم ومظاهر الاستغلال الفاحش التي تتنافى وأبسط مبادئ حقوق الإنسان والأخلاق المسيحية وقيمها الدينية والإنسانية. فبنشاطه الفكري المتميز هذا، يصبح مورياك عضوا في الأكاديمية الفرنسية سنة 1933م.

وفي سنة 1952م حصل فرنسوا مورياك على جائزة نوبل للآداب، وهي السنة التي اشتد فيها الصراع بين الحركة الوطنية المغربية والسلطات الاستعمارية في كل من باريس والرباط بعد الأيام الدامية التي كانت مدينة الدار البيضاء مسرحا لها على إثر المظاهرات التي نظمتها الحركة الوطنية تضامنا مع المناضل التونسي فرحات حشاد يومي 7 و8 دسمبر 1952م. لقد سالت الدماء أنهارا خلال اليومين، وتعرض قادة الحركة الوطنية إلى كل أنواع التعذيب والتنكيل والنفي، كما تم اعتقال أبرز العناصر الوطنية النشيطة من عمال، وفلاحين وتجار. أما المتظاهرون وغيرهم من الأبرياء العزل والذين قتلوا برصاص القوات الاستعمارية والاحتلالية وحتى من طرف المدنيين الفرنسيين، فقد أخفيت جثثهم في حفر جماعية سرية خارج المدينة.

4- الوزاني. عز العرب، حديثي والدي. ص. 348-349

زعزعت هذه الأحداث الدامية وتصرفات الجالية الفرنسية ضمير الفرنسيين الأحرار وخصيصا منهم الكاثوليك، في كل من المغرب وفرنسا. ويأتي في طليعة هؤلاء الكاثوليك، روبر بارا (Robert Barrat) قطب رحي المركز الكاثوليكي للمثقفين الفرنسيين (C.C.I.F) في باريس. لقد توصل هذا المناضل الكاثوليكي بتقرير شامل عن أحداث البيضاء الدامية من طرف أعضاء هذا المركز المنتسبين لأسقفية الرباط التي كان يشرف عليها Mgr. Lefèvre. فهذا الأخير سبق له أن وجه رسالة إلى مساعديه والمشرفين على الكنائس بالمغرب يدعوهم فيها إلى حث الجاليات الفرنسية المستقرة بالمغرب على ضرورة التعامل مع المغاربة، أصحاب البلاد، بما تميله عليهم الأخلاق المسيحية وتعاليمها.

تدارس المركز الكاثوليكي للمثقفين الفرنسيين ما ورد في هذا التقرير حول الأحداث الدامية للبيضاء، فقرر مطالبة الحكومة الفرنسية بإجراء بحث لتقصي الحقائق حول ملبساتها وعواقبها وما خلفته من ردود فعل عنيفة في المغرب وفرنسا والمشرق العربي والعالم الإسلامي مما أساء بسمعة فرنسا وتاريخها.

من الخطوات التي أقدم عليها روبر بارا السعي الحثيث إلى إقناع الأديب والأكاديمي الفرنسي والمثقف الكاثوليكي الملتزم إلى إعلان موقفه من أحداث البيضاء كما يمليه عليه ضميره. ومن أجل ذلك، عقد مع الأديب مورياك لقاءات شارك فيها صفوة من الفرنسيين الأحرار وبعض الطلبة المغاربة المتواجدين في باريس خلال هذه الحقبة، وفي طليعتهم الطالب أحمد الطيبي بنهيمه الذي كانت تربطه بالأديب مورياك وشائج وثيقة من المحبة وصدقة خاصة.

في 13 يناير 1953م يعلن مورياك دخوله المعركة بجانب الأحرار الفرنسيين الكاثوليك بافتتاحية ملتبهة نشرها بجريدة Le Figaro ومنها هذه الفقرات :

«... إن تدخلنا في القضية المغربية بصفتنا مسيحيين، ولأننا لا نستطيع الإمساك عن الكلام وسنواصل دائما مع هؤلاء الشعوب، البحث عن فرص الإلتقاء والتقارب معهم، وعلى المسيحية والإسلام، بعد قرون من الصراع، أن يخوضا اليوم المعركة، جنبا إلى جنب، وقلب على قلب، إننا نجد أنفسنا في ميدان لا يخضع إلى السياسة ولن يبعدنا عنه أي نزاع من ورائه مصالح. إن الذين يعبدون إلها واحدا، يشعرون برابطة وشائج الأخوة بينهم مهما كانت الظروف وتؤكد أن ضحايا الدار البيضاء لن تذهب دماؤهم هدرًا»⁵.

بهذه الافتتاحية يعلن مورياك علانية وبشكل صريح وقوفه بجانب القضية المغربية، ويصبح بحكم مكانته الفكرية، من الشخصيات السياسية والدينية التي لها وزنها وكلمتها ونفوذها وفعاليتها في الحقل الفكري والسياسي الفرنسي. ومما دعم موقفه ووطد مركزه التأييدات التي تلقاها من مفكرين آخرين، ومن الوزن الثقيل الذين حملوا لواء الدفاع عن الشعوب المستعمرة ونادوا بحوار مسيحي إسلامي لتعميق المحبة والأخوة، ومن هؤلاء نذكر Louis Régis Blachère و Massignon اللذان أعربا له عن ارتياحهما العميق بارتفاع صوت آخر ينضاف إلى أصواتهم : «صوت فرنسا المسيحية - صوت الحق والحقيقة». كما توصل مورياك بخطاب بعث به إليه شيخ الإسلام مولاي العربي العلوي ينوه فيه بمواقف الأديب والأكاديمي المسيحي داعيا إياه إلى مواصلة نضاله من أجل توطيد أواصر التفاهم والمحبة بين المسيحية والإسلام لما فيه خير شعوب الديانتين.

واصل موريك نضاله من خلال قناعاته الفكرية والدينية في إطار أنشطة المركز الكاثوليكي للمثقفين الفرنسيين، ومن خلال مختلف المنابر الإعلامية والثقافية. فمن الأنشطة الهامة التي نظمها هذا المركز، الندوة الفكرية والسياسية تحت عنوان «قضايا شمال إفريقيا أمام الضمير الفرنسي» وذلك يوم 26 يناير 1952م، شارك في هذه الندوة موريك الذي ترأس جلساتها، وكذلك روبير بارا رئيس المركز، والمؤرخ شارل أندري جوليان (C.A.Julien) والنائب الاشتراكي فرانسوا ميران (F.Mitterand).

استاءت السلطات الاستعمارية واللوبي الكولونيالي من هذا النشاط ومن تحركات الفرنسيين الأحرار في كل من فرنسا والمغرب، ولا سيما تحركات جوليان، وبلاشير، وماسينيون. ولمواجهة هذه التحركات المكثفة عمدت إلى تنظيم حملات مضادة في كل من المغرب وفرنسا، تركزت أساسا حول الإساءة بسمعة محمد الخامس، وباتهام قادة الحركة الوطنية بالشيوعية والرجعية، وخلق أحزاب سياسية مغربية موالية للسلطات الاستعمارية، وتهيئ المناخ لتنفيذ مؤامرة خلع السلطان محمد الخامس وإحلال محله سلطانا آخر.

هذه المؤامرة بدأت تتضح ملامحها وتتحدد في كل من مراكش وفاس بتنسيق تام مع اللوبي الكولونيالي في باريس، بزعامة المقيم العام السابق في المغرب الماريشال جوان (Juin).

لمواجهة هذه الحملات المضادة والمخططات الرامية إلى خلع محمد الخامس، رأى موريك ورفاقه المنضويين تحت لواء المركز الكاثوليكي أنه يتعين عليهم استقطاب مزيدا من العناصر الفاعلة في الساحة الثقافية والبرلمانية والاقتصادية ذات التوجهات والقناعات المعادية للفكر الاستعماري بكل أشكاله، والذين لهم حضور متميز في المجتمع الفرنسي من أمثال: Julien، Blachère، Izard، Rous، وهم أعمدة «مؤتمر الشعوب ضد الاستعمار»، والنائب الاشتراكي A.SAVARY، وغيرهم من المفكرين ورجال الإعلام، والجامعيين والأطباء المؤيدين لحقوق الشعوب والمدافعين عن كرامة والإنسان.

بذل المناضل الكاثوليكي روبير بارا R.Barrat مجهودات جبارة لإقناع هذه الشخصيات بضرورة الإسهام في خلق جمعية سياسية وفكرية قوية وفاعلة لمواجهة اللوبي الاستعماري وإفشال مخططاته في المغرب بوجه أخص. عقدت هذه الشخصيات يوم 3 جوان 1953م اجتماعا موسعا تدارست خلاله قضايا شمال إفريقيا بصفة عامة، والقضية المغربية بصفة خاصة، أسفر هذا الاجتماع على تأسيس جمعية تحمل اسم «فرنسا-المغرب France-Maghreb» أسندت رئاستها بدون جدال الى موريك. كما ضمت بجانبه روبير بارا، وجوليان، وماسينيون، وبلاشير، وروس، وسفاري، وغيرهم من أقطاب الفكر والسياسة والمال والأعمال من أمثال A. De Peretti الذي كان من وراء تأسيس جمعيات سياسية وفكرية للدفاع عن القضية المغربية ومن أهمها: جمعية الضمير الفرنسي Conscience Française، وجمعية الصداقات المغربية-الفرنسية Les Amitiés Franco Marocaines اللتان ستلعبان دورا مهما في مواجهة السلطات الاستعمارية في المغرب.

تمحور نضال جمعية فرنسا-المغرب حول القضية المغربية فعملت على تنوير الرأي العام الفرنسي عن حقيقة ما يجري فيه ويحبك من مناورات وتحركات تستهدف عزل محمد الخامس وإحلال محله سلطانا آخر، يساير السياسة الاستعمارية ولا يساند مطالب وكفاح الشعب المغربي. في هذا المجال بالذات، تميز موريك بكتاباته ومقالاته وتحليلاته وافتتاحياته الملتهبة والصريحة والموضوعية التي كان يغذي بها كبريات الصحف الفرنسية

Le Figaro، Le Monde : مجلة Esprit، L'Express، L'Observateur. كما تميز نشاط جمعية فرنسا-المغرب بالتجمعات السياسية والندوات الصحفية التي تعقدتها، كالتي نظمتها يوم 29 يونيو 1953م ترأسها مورياك وتناول فيها الكلمة: Massignox، Blachère، الجنرال Catroux. صدر عن هذه الندوة بيان يشجب السياسة الاستعمارية الفرنسية ومخططاتها، كما يندد بالقمع والاضطهاد الذي يتعرض له الوطنيون وفئات الشعب المسالمة. كما حذر البيان من مغبة تنفيذ المؤامرة التي تدبر لخلع محمد الخامس. وفي هذا الباب سعى مورياك الى إقناع رئيس الحكومة الفرنسية بضرورة التدخل لدى المتأمرين لإيقاف مخططاتهم وتحركاتهم وذلك خلال الاجتماع الذي عقده مع رئيس الحكومة الفرنسية LANIEL يوم 15 غشت 1953م، أي خمسة أيام فقط قبل تنفيذ مؤامرة (20 غشت). عن هذا اللقاء ورد في إحدى يومياته المشهورة، «...عندما كنت أشرح له الحالة السياسية في المغرب وما يجري في هذا البلد، كان فكره تائها... لا يبالي بما أحكيه..فتيقنت أن مسألة خلع محمد الخامس لا تحظى لديه بال العناية المطلوبة».

فعلا، أقدمت السلطات الاستعمارية في المغرب على تنفيذ مخططاتها الرامية إلى نفي محمد الخامس يوم 20 غشت 1953م. وفي الغد، عقدت جمعية فرنسا-المغرب اجتماعا طارئا برئاسة مورياك. من المتدخلين المستشرق Massignon الذي قال : «...إن جمعية فرنسا-المغرب قد خسرت معركة، ولكنها لم تخسر الحرب. فعليها أن تواصل مهمتها التي من أجلها تأسست».

إن هذه الحرب سيقودها مورياك بعزيمة أقوى ويتصميم فاق كل التوقعات. حرب ساخنة سيعلنها ضد السلطات الحكومية في باريس، وضد المستعمرين الغلاة في المغرب، بالقلم والفكر والبيان والتبيين، في إطار جمعية فرنسا-المغرب التي أصبحت تشكل في المجتمع السياسي الفرنسي قوة ضغط فكرية وسياسية فاعلة ومؤثرة واجهت الحزب الكولونيالي مواجهة عنيفة وشرسة.

تطور النضال داخل المغرب بظهور حركات المقاومة وجيش التحرير، وتمحور هذا النضال حول مطلب أساسي : عودة محمد الخامس إلى عرشه كشرط أساسي قبل الدخول في أية مباحثات من أجل حل الأزمة المغربية الفرنسية واندلاع الكفاح المسلح في كل من المغرب والجزائر أرغم السلطات الاستعمارية على الرضوخ للإرادة المغربية... وبعودة محمد الخامس ربح مورياك الحرب. ولهذا نراه يحظى من طرف العاهل المغربي، بمجرد وصوله إلى باريس، بحفاوة بالغة، وبتقدير يليق بمكانة الأكاديمي وبكفاحه ونضاله من أجل القضية المغربية وعودة محمد الخامس إلى عرشه.

ظل مورياك على صلة وثيقة بالمغرب وبرجالته من سياسيين ومفكرين، كما ظل يدافع عن حقوق الشعوب المستضعفة كما تمليه عليه قناعاته الفكرية والأخلاق المسيحية وقيمها الدينية والإنسانية. كتب العاهل المغربي محمد الخامس على صورة لمورياك العبارات التالية أهداها إليه : «إلى السيد فرنسوا مورياك صديق جلالتنا وصديق المسلمين الذي يحرص على الإعراب عما يمليه عليه ضميره الكريم حفاظا على الصداقة المغربية-الفرنسية التي يجب أن يحرص كل الحرص على استمرارها»

توفي الأديب والأكاديمي المناضل المسيحي يوم 1 سبتمبر 1970م، وتبعاً لما ورد في توصياته، تمت مراسيم الدفن خالية من كل مظاهر البهرجة والبروتوكول. عاش متواضعاً أقصى ما يكون التواضع والبساطة، وأبى إلا أن يغادر هذه الدنيا كذلك.

المراجع للتوسع في الموضوع:

- باللغة العربية:

1. أوفيد، جورج (1987). اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905-1955. ترجمة محمد الشركي وعبدالجليل ناظم، مراجعة عبداللطيف المنوني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
2. رشد، عبدالله (2004). كفاح المغاربة 1953-1956. ط. المطابع المتحدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، الفرنسيون الأحرار، ص 324-328.
3. الزهيري، قاسم (1984). محمد الخامس الملك المناضل، مطبعة اكدال- الرباط، نشاط جمعية فرنسا-المغرب، صفحة 154-155، نشاط الفرنسيين الأحرار، ص 120-123.
4. المصمودي، حسن أحمد. صفحات حول موريبك ويوميته. مجلة المعرفة، عدد خاص، ص 142-143.
5. الوزاني، عز العرب محمد حسن (1984). حدثني والدي. مؤسسة محمد حسن الوزاني، الطبعة الأولى.
6. الوزاني، محمد حسن (1984). مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية. الجزء الثالث (1930-1934)، مؤسسة محمد حسن الوزاني، الطبعة الأولى.

- باللغة الأجنبية:

7. André de Peretti (2006). L'indépendance du Maroc et la France 1946-1956. Mémoire et Témoignage, éd. kawtar - Rabat, sur France M - ghreb.
8. Barrat, Robert (1953). Justice pour le Maroc. éd. Seuil, Paris.
9. Bleuchot, Hervé (1973). Les libéraux français au Maroc. Ed de l'unive - sité de Provence.
10. Corval Pierre (1956). Le Maroc en révolution. Préface du G. Catroux, Paris, Chapitre IV, Action des groupements : France-Maghreb, Comité d'Etudes, France Islam.
11. Delanoe, Guy. Mémoires : trois tomes, éd. L'harmattan, Paris.
12. Dubois Roquebert, Henri (2003). Mohammed V, Hassan II, tels que je les ai connus. éd. Tarik-collection témoignages, Casablanca.
13. Julien, C.A. (1979). Une pensée anti-coloniale. éd. Sindibad, Paris.
14. Julien, C.A. (1978). Le Maroc face aux impérialismes, éd. J.Afrique, Paris.
15. Lacouture, Jean (1980). François Mauriac, éd. Seuil, Paris.
16. Liauzu, Claude (2004). Colonisation : Droit d'inventaire A. Colin, Paris.

17. Liauzu, Claude (2007). Dictionnaire de la Colonisation Française. L – rousse à Présent, Paris, p. 385.
18. Liauzu, Claude (2007). Dictionnaire de la colonisation française. Larou – se à Présent, p. 173.
19. Nataf, Félix (1975). L'indépendance du Maroc, Témoignage d'Action 1950–1956. Avant propos, de A. Bouabid, éd. Plon.
20. Paillat Claude. La liquidation. Histoire et documents R.Laffont, Mission de Catroux à Antsirabé, Paris, t-II Chapitre 12.
21. Overd, Georges (1984). La gauche française et le nationalisme marocain 1905–1955 t.I, L'Harmattan, Paris.
22. Rozelet, Anne–Marie (1998). Passeurs d'Espérance–Français libéraux dans le Maroc en crise 1945–1955. Afrique–Orient.
23. Stéphane, Bernard (1963). Le conflit Franco–Marocain 1943–1956. Bruxelles, tome III, Chapitre V, Le lobby Marocain de Paris France M – ghreb.
24. Yrissou, Henri. Entretiens avec S.M Mohamed V à Antsirabé et à la celle saint–cloud en 1955– In Actes du colloque international. Mohamed V : le roi leader,16–20 Nov 1987. Rabat Publication de l'Association Ribat Al Fath.
25. Zaki, M'barek (2004). Mohammed V: de compagnon de la libération à l'exilé d'Antisirabé. Imprimerie El Maarif El Jadida–Rabat, Les Français libéraux et l'indépendance du Maroc.